وضع «ماني» خدّه على جبين الطفلة وجسّ نبضها، ورفع أحد أجفانها ثم طلب إلى المرأة الفتيّة التي دعاها الأمير «دياغ» أن تقطع خمس قطع من القماش الأبيض النظيف، عَرْضُ كلٍ منها قَدْرُ راحة اليد، وتُحضر بضع قُبَصٍ(*) من الكافور. وغاب هو ليقطف من خلال الأشجار والآجام سُوقاً وأزهاراً ونباتات طبّية وعِنبات اختارها واحدة واحدة متمهّلاً في دعكها بين أصابعه للتحقّق من طبيعتها.

وإذ عاد إلى الغرفة بهذا الحِمْل المختلف الأشكال والأنواع فقد أخذ يعجن الأعشاب حتى صنع منها عجينة بلون التراب ذرّ عليها الكافور بسخاء قبل أن يفرشها لزقات سميكة فوق الخِرَق التي طواها ومهدها وسطّحها ووضع واحدة منها على جبين الطفلة مُغطّياً بها أذنَيْها أيضاً، ولفّ اثنتين أخريين حول المِعْصَمَيْن والأخيرتيْن حول نهاية القدميْن لشدّ الإبهاميْن. ثم تناول إبريقاً وأسال منه خيطاً نحيلاً من الماء لتبليل الكمادات.

لم يكن أحد حوله ليجسر على إصدار أدنى صوت. وكان «ماني» كلّما جفّت قطعة من القماش بلّلها بقليل من الماء، وعندما أفرغ الإبريق بعد ساعة مدّ به يده إلى الأمير قائلاً:

ـ يجب ملؤه من ماء السَّيْل.

تناول «هرمز» الوعاء وناوله بحركة آمرة طبيعية إلى ضابط الخدمة الذي كان واقفاً خلفه.

قال «ماني» الذي تكلّم من غير أن يرفع عينيه:

ـ كلاّ، من يد الأمير!.

وإذ أخذت الساسانيّ الدهشةُ هنيهة فقد استعاد الإبريق وذهب يملأُه بنفسه تحت عيون الجنود ورجال الحاشية المشدوهين. ولا بدّ أن يكون قد افترض أن

(*) القُبَص جمع قَبْصة وقُبْصة، وهي ما يتناوله الإنسان بأطراف أصابعه (المترجم).